﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العِبادات عَواصِمُ، وشُكرانٌ يستجلبُ النِّعمَ

لمّا ذكَر في الآية السّابقةِ تثبيتَه لنبيِّه ﷺ بالسُّننِ الإلهيَّة الخاصَّةِ في عصمةِ الرُّسل مِنَ النّاس؛ أمَره في هذه الآية أنْ يشكر ذلك بالتَّعبُّد برأس الأمر الصَّلاةِ، ليزداد تثبيتًا على تثبيتٍ، وعِصمةً فوق العِصمة، فـ"مناسبةُ أقم الصَّلاة لما قبلها: أنَّه تعالى لمّا ذكرَ كيدَهم للرَّسول، وما كانوا يرومون به؛ أمرَه تعالى أن يُقبِلَ على شأنه من عبادة ربِّه وألّا يشغلَ قلبَه بهم، وكان قد تقدَّمَ القولُ في الإلهيّات والمعادِ والنُّبوّات، فأردف ذلك بالأمر بأشرفِ العبادات والطّاعاتِ بعد الإيمان، وهي الصَّلاةُ"[1]، و"مناسبةُ موقعِها عقبَ ما قبْلَها أنَّ الله لمّا امتنَّ على النَّبيّ ﷺ بالعصمةِ وبالنَّصر؛ ذكَّره بشكرِ النِّعمة بأنْ أمرَه بأعظمِ عبادة يعبدُه بها، وبالزّيادة منها طلبًا لازدياد النِّعمة عليه، كما دلَّ عليه قولُه في آخر الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾"[2]، وجاء في نظمِ الدُّرر: "ولمّا قرَّر أمرَ أصول الدّين بالوُحدانية والقُدرةِ على المعاد، وقرَّر أمرَهم أحسنَ تقرير، واستعطفَهم بنِعمه، وخوَّفهم من نِقمه، وقرَّر أنَّه سبحانه عصمَهُ ﷺ من فتنتِهم بالسَّراء والضَّرّاء بما أنار به من بصيرتِه، وأحسنَ من علانيتِه وسريرتِه؛ صار منَ المعلوم أنَّه قد تفرَّغ للعبادة، وتهيَّأ للمراقبة، فبدأ بأشرفِها"[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 97.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 181.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 491.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِدُلُوكِ﴾: (دلك) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى زَوالِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ، ولا يَكونُ إلّا بِرِفْقٍ[1]، ودَلَكَ الشَّيءَ يَدْلُكه دَلْكًا: مَرَسه وعَرَكه[2]، والدَّلوك: ما دلكتَه من طيب، ودُلوك الشَّمسِ: ميلُها للغروب[3]، واسْمُ ذَلِكَ الوقْتِ: الدَّلَكُ، ودُلوك الشَّمسِ زَوالُها في وقْتِ الظُّهْر، وذلكَ مَيلُها للغُروبِ، وهو دُلوكها أيضًا[4]، والمرادُ بالدُّلوكِ في الآية: مِنْ أَحْوالِ الشَّمسِ، يَجْمَعُ ثَلاثَةَ أَوْقاتٍ باسْتِعْمالِ المُشْتَرَكِ في مَعانيهِ[5].

2) ﴿غَسَقِ﴾: (غسق) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على ظُلْمَةٍ، فالغَسَق، مُحرَّكةً: ظُلْمَةُ أوَّلِ اللَّيْلِ[6]، والغاسِقُ: اللَّيْلُ[7]، ويُقالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: أَظْلَمَتْ، وأَغْسَقَ المُؤَذِّنُ؛ إذا أَخَّرَ صَلاةَ المَغْرِبِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ، وأَمّا الغَسّاقُ الَّذي جاءَ في القُرْآنِ [ص: 57]، و[النبأ: 25]؛ فَقالَ المُفَسِّرونَ: هو ما تَقَطَّرَ مِنْ جُلودِ أَهْلِ النّارِ[8]، والمرادُ بالغَسَقِ في الآية: الظُّلْمَةُ، وهي انقطاعُ بَقايا شُعاعِ الشَّمسِ حينَ يُماثِلُ سَوادُ أُفُقِ الغُروبِ سَوادَ بَقيَّةِ الأُفُقِ، وهو وقْتُ غَيْبوبَةِ الشَّفَقِ، وذلكَ وقْتَ العَشاءِ، ويُسَمَّى العَتَمَةَ، أَيِ: الظُّلْمَةَ[9].

3) ﴿مَشْهُودًا﴾: أَصْلُ (شهد) يدلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعْلامٍ[10]، لا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُروعِهِ عنْ ذلك، ومِنْه الشَّهادَةُ، والمَشْهَدُ: المَجْمَعُ مِنَ النّاسِ، والمَشْهَد: مَحْضَرُ النّاسِ، يُقالُ: شَهِدَ الشَّيْءَ؛ إذا حَضَرَهُ، وعايَنَهُ[11]، والشَّهيدُ: القَتيلُ في سَبيلِ اللّه، وقالَ قَوْمٌ: سُمّيَ بذلك؛ لِأَنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُهُ، أَي: تَحْضُرُهُ[12]، والمَشْهود: صَلاةُ الفَجْرِ، ويَومٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دلك).
(2) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (دلك).
(3) الرّاغب، المفردات: (دلك).
(4) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 255، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (دلك).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 182.
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (غسق).
(7) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (غسق).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غسق).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 182.
(10) بن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).

مشهودٌ: يَحْضُره أَهلُ السَّماءِ والأَرض[1]، والمرادُ بقوله: ﴿مَشْهُودًا﴾ في الآية: مَحْضورَةٌ، وفُسِّرَ ذَلِكَ بِأَنَّها تَحْضُرُها مَلائِكَةُ اللَّيْلِ ومَلائِكَةُ النَّهارِ[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

قيامُ اللَّيلِ يوجِبُ عُلوَّ الدَّرَجاتِ في الجنَّةِ

يقولُ اللهُ تعالى: أدِّ - يا مُحَمَّدُ ﷺ - الصَّلَواتِ المَكتوباتِ على وجهِ التَّمامِ بجَميعِ أركانِها وشُروطِها، في أوقاتِها، مِن مَيلِ الشَّمسِ للزَّوالِ - فتدخُلُ في ذلك صَلاتا الظُّهرِ والعَصرِ - إلى إقبالِ الظَّلامِ واجتِماعِه، ويدخُلُ في ذلك صلاتا المَغرِبِ والعِشاءِ، وأقم صَلاةَ الفَجرِ؛ إنَّ صلاةَ الفَجرِ تَحضُرُها مَلائِكةُ اللَّيلِ ومَلائِكةُ النَّهارِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

العبادةُ هي المقصودُ قبل كلِّ غرضٍ وبعدَ كلِّ غرضٍ

جملة ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ[4]، بعد أنْ فرَّغ قلْبَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ الاكتراث بكيد الكافرين، بأنْ عصَمَهُ منهم، ولاحَقَهم بالخزي والوعيد؛ ابتدأ في هذه الآية بأمرِ نبيِّه بأنْ يتفرَّغ لعبادة ربِّه، بإقامة رأسِ العبادات: الصَّلاةِ.

بلاغةُ الاكتفاءِ في الآية:

فصلَ وقتَ الفجرِ لما بينَه وبينَ العشاءِ مِن انقطاعٍ

في الآية فنُّ الاكتفاء ببَيانِ المبدَأِ والمُنْتهى في أوقاتِ الصَّلواتِ من غيرِ فصْلٍ بينها، ولعلَّ ذلك لِما أنَّ الإنسانَ فيما بين هذه الأوقاتِ على اليقظةِ، فبعضُها مُتَّصلٌ ببعضٍ، بخلافِ أوَّلِ وقْتِ العشاءِ والفجْرِ، فإنَّه باشتغالِه فيما بينهما بالنَّومِ ينقطِعُ أحدُهما عنِ الآخرِ؛ ولذلك فصَلَ وقْتَ الفجرِ عن سائرِ الأوقاتِ[5].

---

(1) الزَّبيديّ، تاج العروس: (شهد).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 183.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 101، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 464، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 179.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 181.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 189.

دلالةُ الأمرِ ﴿أَقِمِ﴾:

الأمرُ في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على حقيقتِه الظّاهرة من طلب إقامةِ الصَّلاة بالبدن والأعضاءِ على جهة الإلزام، وعلى المجازِ بطلبِ انتوائِها والعزمِ والقصدِ إليها[1].

حين يقولُ (أقم الصّلاة) فكأنَّ الصَّلاةَ في انتظار مَن يُقيمُها ويقومُ بها

بلاغةُ الاستعارةِ والكنايةِ والمجازِ في لفظ الإقامةِ:

أصلُ الإقامة: الانتصابُ والنُّهوضُ من قعودٍ واضطجاعٍ، وإقامةُ الصَّلاة: التَّشمُّرُ لأدائها وإيقاعِها على نحوٍ مِنَ العنايةِ والمواظبةِ، وإقامتُها استعارةٌ تبعيَّةٌ في تشبيهِ صيانتِها مِنَ الخلل في أركانها وشروطِها، بجعْلِ الشَّيءِ قائمًا بعد اعوجاجٍ (تقويمٌ وتعديل)، أو كنايةٌ عنِ الدَّوام مِنْ بابِ قولِهم: (قامَتِ السّوقُ)؛ إذا راجَتْ، ونَفَقَتْ سِلَعُتُها؛ لأنَّ نَفادَ السِّلَعِ في السّوقِ مُشعرٌ بتوجُّه الرَّغباتِ إليها، وذلك يَستدعي استدامتَها، فإذا لم تَكنْ قائمةً؛ لم تكنْ دائمةً، أو مجازٌ في الإسناد، بمعنى: يجعلون الصَّلاةَ قائمةً؛ فيفيدُ التَّجلُّدَ والتَّشمُّر، وأنَّها تقعُ عنْ مَزيدِ نشاطٍ كقولهم: قامتِ الحربُ على ساقِها، أو مجازٌ مرسلٌ من بابِ إطلاقِ مُعظَمِ الشَّيءِ على كُلِّه، وهو ركْنُ القيامِ فيها، أي: يوجِدون قيامَها، أي: يَقومون فيها، فأسندَ القيامَ إليها؛ لأنَّه أظهرُ أجزاءِ الصَّلاة وغالبٌ فيها، وأرادَ بِهِ أداءَها وتحصيلَها كاملَةً[2].

إقامةُ الصَّلاة صيانتُها مِنَ الخللِ في أركانها وشروطِها

دلالةُ التَّعريفِ في الصَّلاة:

التَّعريفُ في ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، أي: الصَّلاةُ المفروضةُ[3].

معنَى اللّام في قوله تعالى: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾:

اللّام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ للتَّوقيت، أي: عند وقتِ زوال

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 491.
(2) الطيّبيّ، فتوح الغيب: 2/ 91، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوم).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 126.

الشَّمس من وسط السَّماء، أو مِنْ وقتِ الدُّلوك، أو بعد الدُّلوك، كما تقول في توقيت أعمالك أوِ الحوادث: كان هذا لِثلاثٍ خَلَوْنَ من رجب أو نحوِ ذلك، ويصحُّ أن تكون للتَّعليل، أي: أقمِ الصَّلاةَ لأجل دخول وقتِ دلوك الشَّمسِ إلى غسق اللَّيل، ولهذا يقول علماءُ الأصول: إنَّ الوقتَ سببُ وجوب الصَّلاة، من حيث إنَّ الصَّلاة لا تجبُ إلّا بدخوله[1].

الأوقـاتُ عـامِرةٌ بـالـصَّـلـوات، فـلـكـلِّ وقـتٍ واجِبُه

دلالةُ إضافةِ الدُّلوكِ إلى الشَّمس:

إضافةُ ﴿لِدُلُوكِ﴾ إلى ﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ للبيان؛ لأنَّ الدُّلوكَ من أحوال الشَّمس، وهي سببُه[2]، وقالَ الأَزهريُّ: "والقَوْلُ عِنْدي أَنَّ دُلوك الشَّمسِ زَوالُها نِصْفَ النَّهارِ؛ لِتَكونَ الآيةُ جامِعَةً للصَّلَواتِ الخَمسِ"[3].

الـصَّـلاةُ دلـيـلُ الإيـمـان كالشَّمس دليلُ الميقاتِ

معنى حرفِ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾:

﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ لانتهاء الغاية، وهو يدلُّ على أنَّه في أوَّل الغاية وابتدائها - أوَّلَ الغسَق - صلاةٌ تُقام، وهي صلاةُ العشاء، ويدلُّ التَّنصيصُ على الغاية بحرف ﴿إِلَىٰ﴾: أنَّ ما قبل الغاية فترة دلوكِ الشَّمس من أوَّلها إلى آخرها صلواتٌ متكرِّرةٌ، وهي الظُّهرُ والعصر والمغربُ[4].

الغايةُ تدخلُ في المُغيّا إذا كانت طَرَفًا ممتدًّا عنه

إيثارُ لفْظِ الغسَقِ:

التَّعبير بلفظِ الغسق في قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾، ولم يقل: (ظلمة الليل)؛ لأنَّ (الغسَق) يجمعُ في دلالته بين شيئين: الأوَّل: غيابُ الشَّفَق، وهو انتهاء آخِرِ الضَّوء، وبدايةُ أوَّل الظُّلمة، والثّاني: اجتماعُ الظَّلام وهو اللَّيل الكثيفُ، وهذا الاشتراك لا يدلُّ عليه لفظُ:

الغسَقُ والدُّلوكُ كـلاهـمـا مـن أعمالِ الشَّمس

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 97، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 182، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4437.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 182.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (دلك).

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 492، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 182.

(ظلمة)، وأيضًا لفظُ ﴿غَسَقِ﴾ شديدُ التَّناسبِ مع لفظ ﴿لِدُلُوكِ﴾، فهو في موضع المقابلةِ معه، ومن حيث المعنى: فكلا اللَّفظين يشتملان على معنى تدحرُجِ الشَّيء برفْقٍ وترَوٍّ شيئًا فشيئًا، فأصلُ الغسق يدلُّ على السَّيلان والتَّقطُّر، وأصلُ الدَّلك يدلُّ على موالاةِ التَّنقُّل والتَّحوُّل عنِ الموضع للَّذي يليه، فكلا اللَّفظين يُلمَحُ فيهما معنى الجريان والانزلاق، وهذا من بديع المناسبةِ بين الألفاظِ في موضعِ التَّقابل[1].

دلالةُ إضافةِ الغسق إلى اللَّيل، وتعريفِ اللَّيل:

اختصَّ الغسقُ باللَّيل المعهودِ

إضافةُ الغسق إلى اللَّيل للبيان والتَّعريف، والتَّعريفُ في لفظ: ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ للعهد، بحسَبِ كلِّ قُطْر، أو لحقيقة الجنسِ وماهيته.

وجهُ العطفِ بالواو:

دخـولُ صـلاةِ الفجرِ يدلُّ على خـتـام غـسـقِ اللَّيل

جملة ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ معطوفةٌ على ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أي: أقِم الصَّلاةَ، وأقِم قرآنَ الفجر، وعطفَ الجملةَ بتغيير السّياق، ولم يقل: (وصلاةَ الفجر)، للدَّلالة على الانقطاع، وعدمِ اتِّصال هذه الصَّلاة بما قبلَها، فصلاةُ الفجر مسبوقةٌ بالنَّوم واتِّصالِ اللَّيل، والصَّلواتُ قبلها موْصولةٌ بالنَّهار وحركةِ المعاش، فكأنَّه قيل: أقِم الصَّلاة لدلوك الشَّمس إلى غسق اللَّيل، ثمَّ نَم، ثمَّ قُم، وأقم صلاةَ الفجر مُستأنِفًا قراءةَ القرآن في الصَّلاة وعائدًا إليها، ولذا عطفها بغير لفظ الصَّلاة، للتَّنشيط إليها والتَّذكير بغايتها التي تقتضي الحرصَ وعدمَ الكسل، وهو قراءةُ القرآن؛ لأنَّه الغايةُ منَ الصَّلاة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ ١٤﴾ [طه: 14]، والقرآنُ هو ذِكْرُ الصَّلاة الأعظمُ، ولا تصحُّ الصَّلاةُ إلّا بهذا الذِّكر، فكان العطفُ به في: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ تذكيرًا واستنهاضًا بعد سكونٍ وانقطاعٍ ونوم،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 383، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غسق، دلك).

وهذا من باب تجديدِ الخطاب بما يستنْبِهُ السّامعَ له بعد فَتْرةٍ منه وفجوةٍ عنه، ويجوزُ أن يكون عطفُ ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ عطفَ جملةٍ، والكلامُ على الإغراء، والتَّقدير: (والْزم قرآنَ الفجر)، فيُعلمُ أنَّ قراءة القرآن في كلِّ صلاةٍ حَتْمٌ[1].

دلالةُ تعريفِ القرآن بالإضافةِ:

المقصودُ القرآنُ المتلوُّ في صلاة الفجرِ

تعريفُ القرآنِ بإضافته إلى وقت الفجر في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ لتأكيد أنَّه القرآنُ المتلوُّ في الصَّلاة وليس مطلقَ القراءة، فإنَّ تناولَ القرآن من غير صلاة لا يختصُّ بوقتٍ معيَّن، بل في كلِّ وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ، وكأنَّ معنى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ على تقدير مضاف، أي: (وقرآنَ صلاةِ الفجر).

دلالةُ القرآن على صلاة الصُّبحِ:

القرآنُ فجرُ الهداية والنّورِ فأَوْلى الأوقاتِ به وقتُ الفجْر

عبَّر عن صلاة الصُّبح خاصَّةً بـ(القرآن)؛ لأنَّ القرآن كثيرٌ فيها؛ لأنَّه يُجهَر بالقرآن في جميع ركوعِها، ولأنَّ سنَّةَ القراءة في فريضة الفجر أنْ يُقرأ بسورٍ من طوال المفصَّل، فاستماعُ القرآن للمأمومين أكثرُ فيها، وقراءتُه للإمام والفذِّ أكثرُ أيضًا، فيكونُ من باب التَّعبير عنِ الشَّيء بما غلَب عليه[2]، ثمَّ إنَّ الفَرَج موصولٌ بالقرآن وصلاةِ الفَجْر، ومادَّةُ الفَرَجِ والفجْر واحدةٌ.

وجهُ تعريفِ ﴿ٱلْفَجْرِ﴾:

من داومَ على الفجْر؛ تجدَّدتْ له البدايات والفُرَصُ

التَّعريفُ في لفظ ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ؛ لأنَّ المرادَ وقتُ الفجر المخصوصُ بالصَّلاةِ المكتوبة.

بلاغةُ المجازِ المُرسلِ في ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أطلقَ الجزءَ على الكلِّ، أي:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 383، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 7/ 398، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 492.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 98، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 183.

قراءة الفجر، والمرادُ بها الصَّلاةُ؛ لأنَّ القراءة جزءٌ منها، فتسمية الصَّلاة بالقرآن مجازٌ مرسلٌ علاقتُه الجزئيَّةُ[1] فسُمّيت صلاةُ الفجر قرآنًا؛ لأنَّه ركْنٌ، كما سُمّيت ركوعًا وسُجودًا وقُنوتًا.

بلاغةُ التَّوكيدِ بإنَّ:

اجتماعُ القرآنِ وساعةِ الفجْر والصَّلاةِ هو موضعُ الشُّهداءِ

جملةُ ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تذييلٌ تعليليٌّ لمضمون ما قبلَه مِنَ الأمر، أي: أقم قرآنَ صلاةِ الفجر؛ لأنَّ قرآنَ الفجر مشهودٌ منَ الملائكة محضورٌ بالبركةِ والفتْح، ولذا صدِّرت بحرف التَّأكيد؛ إغناءً عنِ الرَّبط بالعاطفِ بحرف الوصلِ، وللمبالغة في تقرير مضمونِ الجملة مِنَ الفضل الجزيل المذكورِ بالشُّهود، لئلّا يتردَّدَ أحدٌ منَ السّامعين في اعتقاد الأفضليَّةِ أوِ التَّهوين منها، أو مساواتِها بالصَّلوات الأخرى، ويصحُّ أنْ تكون الجملةُ استئنافًا بيانيًّا، فهي في معنى جوابٍ على سؤالٍ مقدَّر: كأنَّ سائلًا سأل: ما سببُ تخصيص قرآنِ صلاةِ الفجر بالأمر؟ فأجيب ببيان السَّبب: إنَّ قرآن الفجر كان مشهودًا[2].

بلاغةُ تكرارِ ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾:

إذا تكرَّرَ الشَّيءُ تقرَّرَ

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ إظهار في مَوْضع الإضمارِ؛ للتَّقرير في الذِّهن، لِما في الإظهار من مزيدِ البيان والإشعارِ بشرف صلاة الفجر، وتعظيمِها، ولم يقلْ: (إنَّه كان مشهودًا)، لمزيد الاهتمام والعنايةِ بالمُظهَر[3]، وللاحترازِ لئلّا يُفهَمَ أو يُتوهَّمَ أنَّ الضَّميرَ يعودُ على ﴿ٱلْفَجْرِ﴾؛ فإنَّه لو قال: (إنَّه)؛ لأوهمَ عَوْدَ الضَّميرِ إلى ﴿ٱلْفَجْرِ﴾[4].

(1) صافي، الجدول: 15/ 99.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 183.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 189، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 568، وصافي، والجدول: 15/ 100.
(4) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 2/ 489.

علَّةُ ذكرِ ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، ولم يَقُلْ (صلاة):

مَـنِ استصفى بـقـرآن الـفـجـر؛ ذَمَّـمَـه الـلـهُ وصفَّى حياتَه

ذكرَ ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، ولم يقل: (صلاة الفجر)؛ لأنَّ القرآن في هذا الوقت حيث سكونُ الكونِ وصفاءُ النُّفوس، فتتلقَّى القرآنَ نديًّا طريًّا، وتستقبلُه استقبالًا واعيًا قبل أن تنشغلَ بأمور الحياة، وتزدحمَ عليها خواطرُ أشغالها والفِكْر في شؤونها[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بفعل الكوْنِ الماضي:

مـؤدَّى سـوْقِ الوعودِ محقَّقةً بلوغُ عينِ اليقين

لم يقل في السّياق الكريم: (إنَّ قرآن الفجر مشهود)، بل أقحم الكَوْن الماضي بين الاسم والخبر، فقال: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾؛ لتحقيق النِّسبة بين المبتدأ والخبر، والمبالغةِ في الثُّبوت الإسناديِّ بينهما، ونكتةُ ذلك: أنْ يسوق اللّهُ الوعودَ مؤكَّدةً محقَّقةً لعباده؛ ليبلغوا فيها عينَ اليقين، كأنَّهم يشهدونها؛ لأنَّ قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ بمنزلة الوعد بعد التَّكليف، وفيه - أيضًا - دلالةُ الاستمرارِ، فإنَّ فعلَ الكينونةِ يشملُ الأزمنةَ كلَّها ماضيًا منقطعًا، وماضيًا مستمرًّا، وحاضرًا ومستقبلًا[2].

بلاغةُ الكنايةِ في لفظِ ﴿مَشْهُودًا﴾:

صيغةُ المفعول (مشهودًا) تدلُّ على أنَّ من لم يشهدْه محرومٌ

في قوله: ﴿مَشْهُودًا﴾ كنايةٌ عنِ التَّعظيم وتقريرِ الأفضليَّة، وكنايةٌ عنِ الشَّواهد والدَّلائل التي يجبُ أن تُستصحَب، وتُستحضَر منَ المكلَّفين ساعةَ صلاة الفجر كشواهدِ القدرة من تبدُّل الظُّلمة بالضّياء، والنَّوم الذي هو أخو الموت بالانتباه، وكنايةٌ أيضًا عنِ الأمر بشهوده، فهو حقيقٌ بأن تشهدَه الجموعُ الغفيرةُ منَ النّاس، فكأنَّه إنشاءٌ بصيغةِ الخبر[3].

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8698.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 15/ 96.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 569، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4438.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»